

تفسير السعدي

2 ! @ 588 @ 2 ! أي : أوصلنا يا ربنا ، إلى هذه الدرجة العالية ، درجة الصديقين ،
والكامل من عباد الله الصالحين ، وهي درجة الإمامة في الدين ، وأن يكونوا قدوة للمتقين ،
في أقوالهم ، وأفعالهم ، يقتدى بأفعالهم ويطمئن لأقوالهم ، ويسير أهل الخير خلفهم ،
فيهدون ، ويهتدون . ومن المعلوم ، أن الدعاء ببلوغ شيء ، دعاء بما لا يتم إلا به . وهذه
الدرجة درجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين ، كما قال تعالى : 2 ! . 2 !
فهذا الدعاء ، يستلزم من الأعمال ، والصبر على طاعة الله ، وعن معصيته ، وأقداره المؤلمة ،
ومن العلم التام ، الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين خيرا كثيرا ، وعطاء جزيلا ، وأن
يكونوا في أعلى ، ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل . ولهذا لما كانت همهم ومطالبهم
عالية كان الجزاء من جنس العمل ، فجازاهم بالمنازل العاليات فقال : 2 ! 2 ! أي :
المنازل الرفيعة ، والمساكن الأنيفة الجامعة لكل ما يشتهي ، وتلذه الأعين ، وذلك بسبب
صبرهم ، نالوا ما نالوا ، كما قال تعالى : ^ (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) ^ ولهذا قال هنا : 2 ! 2 ! من ربهم ، ومن ملائكته
الكرام ، ومن بعض على بعض ، ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات . والحاصل : أن الله
وصفهم بالوقار والسكينة ، والتواضع له ولعباده ، وحسن الأدب ، والحلم ، وسعة الخلق ،
والعفو عن الجاهلين ، والإعراض عنهم ، ومقابلة إساءتهم بالإحسان ، وقيام الليل ، والإخلاص
فيها ، والخوف من النار ، والتضرع لربهم ، أن ينجيهم منها ، وإخراج الواجب والمستحب في
النفقات ، والاقتصاد في ذلك . وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق ، الذي جرت العادة ،
بالتفريط فيه ، أو الإفراط ، فاقتصادهم ، وتوسطهم في غيره ، من باب أولى . والسلامة من
كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص في عبادته ، والعفة عن الدماء والأعراض ، والتوبة عند
صدور شيء من ذلك ، وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر ، والفسوق القولية والفعلية ، ولا
يفعلونها بأنفسهم ، وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية ، التي لا خير فيها ، وذلك
يستلزم مروءتهم وإنسانيتهم ، وكمالهم ، ورفعة أنفسهم عن كل خسيس ، قولي وفعلي ، وأنهم
يقابلون بآيات الله بالقبول لها ، والتفهم لمعانيها ، والعمل بها ، والاجتهاد في تنفيذ
أحكامها ، وأنهم يدعون الله تعالى ، بأكمل الدعاء في الدعاء ، الذي ينتفعون به وينتفع به
من يتعلق بهم ، وينتفع به المسلمون ، من صلاح أزواجهم ، وذريتهم . ومن لوازم ذلك ،
سعيهم في تعليمهم ، ووعظهم ، ونصحهم ، لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه ، لا بد أن يكون
متسببا فيه ، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات الممكنة لهم ، وهي : درجة الإمامة

والصديقة . فـ ، ما أعلى هذه الصفات ، وأرفع هذه الهمم ، وأجل هذه المطالب ، وأزكى تلك النفوس ، وأطهر تلك القلوب ، وأصفى هؤلاء الصفوة وأتقى هؤلاء السادة وـ ، فضل اـ عليهم ، ونعمته ، ورحمته ، التي جلتهم ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل . وـ ، منة اـ على عباده ، أن بين لهم أوصافهم ، ونعت لهم هيئاتهم ، وبين لهم هممهم ، وأوضح لهم أجورهم ، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم ، ويبذلوا جهدهم في ذلك ، ويسألوا الذي من عليهم ، وأكرمهم ، الذي ، فضله في كل زمان ومكان ، وفي كل وقت وأوان ، أن يهديهم كما هداهم ، ويتولاهم بتربيته الخاصة ، كما تولاهم . فاللهم ، لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، ولا حول ولا قوة ، إلا بك ، لا نملك لأنفسنا ، نفعا ولا ضرا ، ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير ، إن لم تيسر ذلك لنا ، فإننا ضعفاء ، عاجزون من كل وجه . نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وكلتنا إلى ضعف ، وعجز وخطية ، فلا نثق ، يا ربنا ، إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا ، وأنعمت علينا ، بما أنعمت ، من النعم الظاهرة والباطنة ، وصرفت عنا من النقم ، فارحمنا رحمة ، تغنينا بها عن رحمة من سواك ، فلا خاب من سألك ورجاك . ولما كان اـ تعالى ، قد أضاف هؤلاء العباد ، إلى رحمته ، واختصهم بعبوديته ، لشرفهم وفضلهم ، ربما توهم متوهم ، أنه ، وأيضا غيرهم ، فلم لا يدخل في العبودية ؟ فأخبر تعالى ، أنه لا يبالي ، ولا يعبأ بغير هؤلاء ، وأنه لولا دعاؤكم إياه ، دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال : ! 2 ! 2 أي : عذابا يلزمكم ، لزوم الغريم لغريمه ، وسوف يحكم اـ بينكم وبين عباده المؤمنين . تم تفسير سورة الفرقان ، فـ الحمد والثناء والشكر أبدا .